هوكنغ وسمبسن

فلسطين رمز جهاد العرب

956.9:H68fA

هوكنغ، وليم ارنست.

فلسطين، رمز جهاد العرب.

956.9
H68fA

1 Oct 63

6 AUG 68

16 APR 1971

J. Lib.

1 FEB 1987

SE 5 58

JAFET LIB

4 - FEB 1993

956.9
H68fA
C.1

LIBRARY OF BEIRUT

رسائل عالم الغد

فلسطين

رمز جهاد العرب

بقلم

الدكتور وليم ارنست هوكنغ

و

السر جون هوب سمبسن

(الرسالة الاولى)

١٩٤٥

المحتويات

١ ـ مقدمة

٢ ـ القومية العربية والصهيونية السياسية

٣ ـ الانتداب على فلسطين

مقدمة

انتهت الحرب العالمية الاولى فخرجت الامة العربية منها وقد حققت بعض آمالها وأمانيها ولم تحقق البعض الآخر ، وكان ان ظفرت بشيء وخسرت اشياء ، ولعل أكبر خسارة خسرتها ، وأعظم محنة دهمتها ، وأفظع مصيبة اصابتها ، هي فجيعتها بفلسطين : قلب الامة العربية ، وارضها المقدسة ، ورمز فخارها وجهادها .

وفلسطين في محنتها مثل فريد في التاريخ ؛ مثل يقف وحده بمحزناته وغرائبه ومتناقضاته من دون ان يكون له مثيل ، فهل يستطيع التاريخ ان يأتي بمأساة واحدة تشبه مأساة فلسطين ؟ وهل يوجد في التاريخ ان أمة ببلادها وشعبها يهبها لاشتات من البشر وشراذمة من الناس من ليس له حق في الهبة ؟

ولئن كان التاريخ يعجز عن ان يأتي ولو بمثل واحد يشبه مأساة فلسطين ، انه ليعجز كذلك عن ان يقدم لاية أمة اخرى صفحة أروع وأنبل وأمجد من صفحة البطولة والجهاد التي قدمتها فلسطين على صغر حجمها ، وقلة عدد نفوسها ، دفاعا عن حريتها واستقلالها ، وذودا عن كرامتها وحماها .

لقد شعر عرب فلسطين ، ومن ورائهم الامة العربية ، منذ اللحظة الاولى من تصريح بلفور انه قد كتب عليهم الجهاد ، فى كل ميدان من ميادين الحياة ، لانهم قد شعروا ان الصهيونية التى غزتهم هى حدث ليس كغيره من الاحداث ، ومصيبة ليست كغيرها من المصائب ، هى بلاء مزود أحدث الاسلحة وامضاها ، وأشدها فتكا ، وأنقعها سما ، وانها تهاجم الامة العربية فى نظمها الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية ، وتهاجمها فى كل ناحية من نواحى حياتها ؛ وانها مجهزة بالنفوذ الصهيونى ، والدعاية الصهيونية المضللة ومدعومة بالرأسمال العالمى الاستعمارى ؛ وانها فى خطرها لا تقصد فلسطين وتقتصر عليها حسب ، بل تريد البلاد العربية قاطبة . لقد شعر العرب بهذا وبغير هذا فصمموا على ان لا ينامو وفى العين قذى ، وفى الحلق شجى ، بل لا بد لهم من ان يتسلحو بنفس الاسلحة او بأحسن منها : فيقرعو الحديد بالحديد ، ويحاربو النار بالنار ، لوقف الغزو الصهيونى عند حده ، ورده الى مرده ؛ فما وهنوا ولا قصرو لحتى استطاعوا ان يبرهنوا على ان حقهم فى فلسطين لا يمكن ان يغمط ، ولا يمكن فلسطين ان تكون الا عربية وللعرب ؛ وحتى استطاعوا ، او كادوا ان يكسبوا السياسة البريطانية ، ويظفروا بها ، دلالة ان لم يكن صراحة ، لاول مرة بعد عشرين

سنة من كفاح طويل مستمر ، وجهاد شاق مضن ؛ ولا سيما ان السياسة البريطانية شعرت بعد تصريح بلفور ، بأن المصلحة والعدل ومفهوم الانتداب تقتضي كلها مساعدة عرب فلسطين ، وتستلزم كلها ان تنال فلسطين حريتها واستقلالها ، ويكون لها من المقام الدولي ما لغيرها من الامم التي هي ليست بأحسن منها ثقافة ولا حضارة ؛ فكادت فلسطين ان تنال حقها لو لا انفجار بركان الحرب العالمية الثانية !

وبينما العرب يساهمون في المجهود الحربي بشتى الصور ، ويقدمون ابناءهم وبلادهم ، وطرق مواصلاتهم وخيراتهم للحلفاء في سبيل الظفر النهائي ، وبينما العرب يستبشرون ويبتهجون بعزم الحلفاء على تحقيق أهداف الديمقراطية تحقيقا صادقا وشاملا ، والقضاء على الجبارية « الدكتاتورية » ، وعلى العقلية الفاشية التي تسيطر على علاقة المحكوم بالحاكم ، والسيد بالمسود ، وفي مفهوم الانتداب ، وادارة المستعمرات ؛ وبينما هم كانو يأملون ان القضاء على النازية يعني قبل كل شيء القضاء على الصهيونية التي هي أبشع صورة من صورها ؛ واذا هم بتصريحات من بعض زعماء الديمقراطية ، تتعلق بفلسطين العزيزة يؤيد فيها الظالم لا المظلوم، والقوة لا الحق؛ واذا بهذه التصريحات هي وتصريحات

الزعماء أنفسهم فى ميثاق الاطلنطى ، او مؤتمرات موسكو وطهران ويالطا على طرفى نقيض . وكان طبيعيا ان تثير مثل هذه التصريحات خواطر العرب ، وتستفز شعورهم ، وتبعث القلق فى نفوسهم ، وتذيع الدهش والحيرة فيهم ؟ وكان لا بد لها من ان تستوقف العرب للتفكير طويلا فى مثل هذه التصريحات ، والتفكير طويلا وعميقا فى أسس الديمقراطية ، ومثلها العليا ؟ وهل هذه الاسس عالمية أو محلية ؟ وهل هى لقارة اروبا غيرها لقارة آسية او افريقية ؟ وهل هى لشعوب دول البلقان مثلا غيرها لعرب فلسطين ؟ !

والامة العربية فى قضية فلسطين مرهفة الحس الى أقصى ما تدل عليه هذه الكلمة من مدلول ؟ فليس فى الدنيا شىء يثيرها ويغضبها ، ويؤلمها ويحزنها ، ويفقدها حلمها مثل التعرض لقضية فلسطين بالسوء . فقضية فلسطين وحلها حلا عادلا وآنصا فالعرب فيها وابقاؤها عربية وللعرب هى عند الشعوب العربية المقياس الاول فى التحقق من صدق الحلفاء بوعودهم ، وروز الديمقراطية فى قيمتها وجوهرها ، وفى حقيقة صداقة الشعوب بعضها لبعض صغيرها وكبيرها وفى امكان تحقيق عالم الغد الذى يعمه السلم لا الحرب ، والحق لا القوة ؟ وهى لهذا يأخذها العجب العجاب ان ترى العالم الحر يكافح للقضاء على

الدكتاتورية ، ولا يحرك ساكنا فى القضاء على الغزو الصهيونى لشعب آمن مطمئن ، وما أشد استغرابها ان ترى زعماء الديمقراطية فى الوقت الذى يجاهدون فيه جهاد الابطال للقضاء على عوامل الشر وأسباب الحروب فى الغرب ، يذرون بتأييدهم الصهيونية فى فلسطين بذور الحرب فى الشرق العربى ! ؟

وفى هذا الدور العصيب الذى تمر فيه فلسطين، ويتربص لها اعداؤها فى السر والعلانية، تتوحد جهود العرب واصدقائهم من البريطانيين والامريكان لدحر الغزو الصهيونى وتفنيد مزاعم الصهاينة فى انكلترة وامريكة . ان للعرب اصدقاء ومناصرين لهم صوتهم المسموع ومكانتهم السياسية والعلمية المرموقة فى بلادهم ، وها هم اليوم ينبرون ليدافعو عن حق تريد الصهيونية طمسه ، وعن ظلم يحيق بالعرب فيردونه . ويسر مجلة « عالم الغد » التى يهمها قضية فلسطين ، أن تقدم الى العالم العربى شخصيتين غربيتين هما : الدكتور وليم أرنست هوكنك، استاذ الفلسفة بجامعة هارفرد سابقا ، وهو كاتب وفيلسوف معروف ، والسر جون هوب سمبسن ، الخبير الذى أرسلته الحكومة البريطانية لدراسة مشكلة أراضى فلسطين فى سنة ١٩٣٠ فوضع تقريره المشهور الذى يعد حجة دامغة فى تفنيد أباطيل وأكاذيب الدعاية الصهيونية .

القومية العربية والصهيونية السياسية

بقلم: الدكتور وليم آرنست هوكنج
استاذ الفلسفة بجامعة هارفرد سابقاً

ان الضغط الشديد الذى رافق عرض قضية فلسطين على مجلس الشيوخ الامريكى بصورة جاوزت حد الاستغراب والدهش أمر يستوجب القلق والاضطراب فى أية ظروف كانت. فهل نحن مسوقون الى العمل قبل ان نلمس حقائق القضية الفلسطينية ؟ وفى رأيى ان الدوافع المؤدية الى اثارة هذه القضية وكذلك الحقائق الاساسية التى يجب أن نبنى حكمنا عليها هى غير معروفة ولا مفهومة لدى الجمهور الامريكى.

وطبيعى أن يقوم هذا الشغب وتستند هذه الاثارة بصورة خاصة الى العواطف الانسانية التى نشعر بها تجاه النكبات التى حلت باليهود اللاجئين من أوروبا. وهذا ما دعا الشيخ «تافت» ان يصرح فى ٩ آذار ١٩٤٤ فى الاجتماع السنوى «للجنة فلسطين الامريكية» ان الغاية الاساسية من لائحته «هى وجدان ملجأ لاربعة ملايين يهودى أوروبى استطاعو أن يحيو ويعيشو». وأرى من واجب الشيخ «تافت»، ومن واجب الجمهور الامريكى أيضا أن يفرقو بين الغاية الانسانية والغاية السياسية، وان يزنوهما وزنا تريصا، ويلاحظو الى أى مدى ستبلغ الوسائل المقترحة غايتها الانسانية، والى أية درجة ستخدم غايات اخرى.

ويجب ـ من الناحية الانسانية ـ وجدان ملجأ بل ملاجىء لليهود المبعدين من اوروبا، وهذه مسؤولية دولية لابد من تحملها.

وقد يكون من السهل أن نستنتج من هذه الفرضية ان أبواب فلسطين يجب أن تفتح على مصاريعها حالا لهجرة اليهود غير آبهين لمحتويات «الكتاب الابيض» ومضامينه. وقد يصح هذا القول ويصدق لو كانت فلسطين القطر الوحيد، أوالقطر الاوفق، أو كانت قطرا يحتمل أن يتسع لعدد محدود من المهاجرين؛ وقد يصدق هذا لو لم تكن اعتبارات اخرى مخالفة غير هذه الاعتبارات. غير اننا لا نستطيع ـ بالرغم من ذلك كله ـ أن نعد هذه الامور أشياء مسلمة صحتها.

الأراضي الصالحة للزراعة:

فان تدقق النظر مليا نجد أن فلسطين ليست القطر الوحيد المفتوح للهجرة في الوقت الحاضر، كما انها ليست اوفق الاقطار من حيث سهولة الحياة والمعيشة. أما ما جاء في خطاب الشيخ «تافت في الاجتماع السنوى (للجنة فلسطين الامريكية) فيحال اللاجئين الذى جعل عددهم أربعة ملايين، واقتراحه امكان أن يعيش هذا العدد في فلسطين في المستقبل القريب فانه ضرب من الخيال والوهم. ان «قابلية استيعاب فلسطين» أصبحت موضع جدل طويل لا نرى حاجة للخوض فيه. الا اننى أجد نفسى مضطرا ان أذكر ما اتفق عليه أكثر الباحثين بصورة عامة. أن

أراضى فلسطين نصفها صالح للزراعة، وتقدر هذه بـ ٣ـ٤ ملايين ايكر فقط، من مجموع ٦ر٥٧٩ر٧٥٠ ايكرا. (دبليو. سى. لودر ملك: «فلسطين الارض الموعودة»، ص٢٢٢ وما يليها) . وحيث أن أجود هذه الاراضى وأخصبها قد تم استغلالها واستنباتها فلنسائل: هل نستطيع أن نستفيد من البقية الباقية استفادة جيدة وان استوجب استثمارها تخصيص رأس مال لا يتناسب بأى حال من الاحوال والفائدة المنتظرة. وتقدر هذه بسدس الاراضى الصالحة للزراعة. ولا شك ان الاراضى التى استحوذ عليها الصهيونيون نستطيع أن نحصل منها على مقاطعات زراعية جديدة لو انها استثمرت استثمارا كبيرا، ولو كان ذلك بطرق غالية وبطيئة. هذا وان قضية اللاجئين تتطلب حلا سريعا لا انتظارا طويلا قد يبلغ عشرين سنة. وعليه لا يرجى من وراء حل مشكلة اللاجئين عن هذا الطريق نفع ولا فائدة.

تصنيع فلسطين :

وفى زيادة قابلية استيعاب فلسطين أمل آخر، الا وهو وضع خطة صناعية وتطبيقها تطبيقا شاملا للبلاد كلها. وانى أضع أمام كل قارىء هذه الخطة وأطلب منه أن يتصور الفائدة المنتظرة من توسيع الصناعة فى بلد قد ضنت عليها الطبيعة كثيرا،

فهل مثل هذا البلد الفقير يصلح أن يكون مركزا صناعيا يستند الى موارد الشرق الادنى، بينما يستورد جميع ما تحتاج اليه الصناعة من الوقود، ونسبة المطر الذى يسقط فيه سنويا قليلة جدا بحيث لا تكفى حتى حاجة السكان. ثم انه لا يخامر أى أحد شك ان مثل هذا البناء الصناعى يتوقف نجاحه ونموه على توافر المواد الخام ووجود أسواق تصرف فيها البضائع. وأمر كهذا لايمكن حله على نطاق واسع الا بعد أن تتم تسوية عالمية عامة. ولو فرضنا ان هذه التسوية قد حصلت لوجب أن تراعى مصالح البلاد العربية، وتكون لها كلمة مسموعة فى بناء صناعاتها. وان سرعة التوسع الصناعى فى فلسطين لا يمكن أن تسد الحاجات الاول لاى قسم مهم من يهود أوروبا اللاجئين.

قرسية فلسطين :

وحيث ان المطالبة بفلسطين لتكون محلا فريدا ووطنا قوميا لليهود لايستند الى المنافع الاقتصادية، بل الى أهميتها الدينية، فمما يحسن ذكره ان فلسطين ستفقد أهميتها الدينية فى نظر المسلمين واليهود والمسيحيين اذا ما صنعت تصنيعا مركزا. والامريكيون يخلطون بين معنيين : معنى فلسطين بعدها ملجأ اليهود ومعناها وطنا قوميا أو ثقافيا. وهذان المعنيان لا يختلف

أحدهما عن الآخر حسب، بل يتناقضان من حيث الغايات فى بعض الوجوه، لان يهود فلسطين الذين تدفعهم للعمل روح تاريخية دينية متأججة، لا يرتاحون لتدفق يهود اوروبا الذين لا يبتغون دينا سماويا بل نفعا اجتماعيا ماديا. أما اذا قال بعض الناس أن حقوق اليهود فى فلسطين تستند الى الروابط الدينية، فعلينا ان نتذكر ان القدس أيضا مدينة مقدسة عند المسلمين. فالمسجد الاقصى العظيم الذى شيد فى سنة (٦٩٠) للميلاد يقوم اليوم فى نفس المكان الذى بنى فيه المعبد اليهودى. ولهذا المسجد أهمية عظيمة فى التعاليم الاسلامية، لانه شهد أحدى معجزات النبى (ص) فأية محاولة يحاولها اليهود لكى يعودو ثانية لفلسطين- وعلاقتهم بالشعب العربى كما هى عليه اليوم- محاولة لا يمكن أن تنجح الا باستعمال القوة. واستعمال القوة شىء لا يدور فى الوقت الحاضر بخلد أحد.

تصريح بلفور :

نتوصل بعد هذا الى أن أهمية فلسطين من حيث هى ملجأ لليهود المتشردين لا يمكن أن تبنى على حاجات اللاجئين اليها، أو تقوم على ضرورة دينية، وانما يجب أن ننظر اليها وفق «تصريح بلفور» ، أى انه من المستحب انشاء وطن قومى لليهود

فى فلسطين. ولسوء الحظ كان هذا التصريح الذى اسىء فهمه قد صوره الصهيونيون لنا تصويرا مشوها مما يضطرنا أن نعود اليه. ودونك نص التصريح الصادر بتاريخ ٢ تشرين الثانى سنة ١٩١٧ :

« ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف فى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وستبذل قصارى جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يكون مفهوما وواضحا أنه لن يقام بأى عمل يمس حقوق الملل غير اليهودية فى فلسطين سواء أكانت حقوقا مدنية أم دينية . »

ان جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود هو الشىء الذى لم يعده هذا التصريح.

وان هذه العبارة الاخيرة التى تلح عليها بعض الهيئات المتنفذة فى أميركا وتحسبها روح التصريح المذكور فى الحقيقة، طالب بها الصهيونيون البريطانيون سنة ١٩١٧ ورفضتها الحكومة البريطانية رفضا باتا اذ ذاك. كما ان الحكومة البريطانية قد رفضت فى مناسبات متعددة مطاليب اليهود فى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقد عبرت عن سياستها بصراحة فى الكتاب الابيض الصادر فى حزيران سنة ١٩٢٢ . ولا شك فى وجود فرق عظيم جدا بين « وطن » ضمن Within فلسطين وجعل فلسطين « الوطن » The Home أو عدها بلادا يهودية.

ولقد استطاع الصهيونيون فى باريس أن يحصلو على موافقة « الوفد العربى » فى مؤتمر السلم الذين كان يترأسهم الامير فيصل على فكرة انشاء وطن قومى لليهود « ضمن » فلسطين. ان كلمة « ضمن » هى التى مكنتهم من حصول موافقة الوفد. ان أحوال المراسلات التى دارت بين المستر «فرانكفورتر» والامير فيصل قد بحثت ودرست بصورة مفصلة منذ ذلك الحين . ويتضح لى من هذا كله ان الامير فيصل كان يعلق آمالا جسيمة على تأسيس مملكة عربية ـ تناصره فى ذلك بريطانيا ـ يكون فيها ملكا على سورية وعاصمة ملكه دمشق. وسورية كما يعرفها العرب تضم فلسطين جزءا متمما لها(١) . ولم يوافق فيصل على قبول جماعة صهيونية فى فلسطين الا متى ما عاشت هذه الجماعة ضمن حدود دولة عربية. ويجب أن نقول ان امضاء فيصل للكتاب المشهور الذى حامت حوله الريب والشكوك لم يكن له وزن وأهمية تذكر فى العالم العربى. وكل من يقول ان الشعب العربى فى فلسطين أو أى شعب عربى آخر

---

(١) ان مواد الاتفاقية التى تم امضاؤها بين الامير فيصل والدكتور « حييم وايزمن » تحتوى الحاشية الاتية:

« اوافق على المواد التى تقدم ذكرها بشرط أن يحصل العرب على استقلالهم وفق ما طلبته فى مذكرتى المؤرخة بـ ٤ كانون الثانى

وافق على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فى ذلك الحين أو بعده فان ذلك قول باطل.

وحينما يلح اليهود على نقض « الكتاب الابيض » ويقولون انهم « لم يأتو فلسطين ليكونو أقلية جديدة » ، فهم فى الحقيقة لا يريدون تنفيذ « تصريح بلفور » بل ينشدون الاستبدال به. فلماذا يرغبون أن يكونو ذوى أكثرية ان لم تكن لهم غاية اخرى، وهى كما عبر عنها تقرير « شو » سنة ١٩٣٠ : « يجب أن تسود الاراء والافكار اليهودية فى نظام حكم ديموقراطى. »

وليس اليهود فى الوقت الحاضر بعيدين كثيرا عن هذه القضية من حيث هى قضية عملية ذات أثر كبير. فقد كان عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٩١٩ (٥٨) ألف يهودى، وعدد العرب ٦٤٢ ألف (مسلم ومسيحى) كما جاء فى تقرير لجنة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٨ . ففى ذلك الحين كانت نسبة اليهود بصورة تقريبية ١٠ بالمائة من مجموع السكان. أما فى سنة

سنة ١٩١٩، الموجهة الى وزارة الخارجية البريطانية؛ ولكن اذا طرأ عليها أقل تغيير أو تبديل أو تحريف فانى لست مرتبطا بكلمة واحدة من هذه الاتفاقية، التى ستعد باطلة وغير لازمة التنفيذ، ولن أكون مسؤلا عن ذلك بأى وجه من الوجوه. » (جورج انطونيوس. النهضة العربية ـ الملحق)

١٩٣٧ فقد بلغ عدد اليهود ٤٠٢ ألف و٩٩٠ ألف عربى؛ على حين يجوز أن نقدر عدد اليهود اليوم فى فلسطين بـ ٦٠٠ ألف، وعدد العرب بمليون. فان أولينا تجمهر اليهود وضفهم فى المدن (يشتغل ٢٣ بالمائة منهم فى الزراعة)، وتفوق مهارتهم وتجاربهم فى الحقل السياسى عناية عظيمة، لكانت سيطرتهم على فلسطين واستحواذهم عليها أمرا محتمل الوقوع. وهذا ما يخشاه العرب.

مناقشة واستنتاج :

فلو وضعنا هذه النقاط المختلفة جنبا الى جنب، أما يتضح لدينا أن الغرض من المساعى الجديدة التى يبذلها لليهود فى أميركا هى بالدرجة الاولى سياسية وليست انسانية ؟

ولكن ما الذى يدعو ألا تكون فلسطين محلا لليهود ؟ لا يجوز الحكم على هذه القضية بالاعتماد على مجرد وثائق مهيجة وحقوق مصطنعة كالتى وضعها الشيخ « تافت »، وانما يجب أن يبنى الحكم ثانية فى ضوء أحوال العالم الحاضرة.

ان التقدم الثقافى الذى أحرزته المستعمرات الصهيونية فى فلسطين عظيم من وجوه عديدة. «فالجامعة العبرية» العظيمة الواقعة على جبل «سكوبوس» ومكتبتها رمزان خالدان يدلان على

حكمة مؤسسيهما وسعة اطلاع بانيهما. وكذلك رؤس الاموال اليهودية العظيمة التى تدفقت الى فلسطين قد زودت الحكومة الفلسطينية أموالا طائلة استطاعت أن تحصل منها على ضرائب كثيرة، تلك الضرائب التى حصلت من العرب أيضا،واستعملت الحكومة البريطانية قسما منها فى الاصلاحات العمرانية للطرق وللصحة العامة... الخ التى استفاد منها العرب فوائد بطبيعة الحال. والعربى فى الوقت نفسه يشعر أن وضعه الاقتصادى أقل ضمانا مما كان عليه قبل ذلك. ولكن ما الذى يجعل العربى يشعر بهذا الشعور؟ ولنضرب مثلا واحدا. فحياة الفلاح تصور لنا هذه المشكلة تصويرا كافيا:

يجب أن ندرس بصورة خاصة وضع الفلاح العربى، لان أكثر العرب يستمدون قوتهم اليومى من فلاحة أرضهم. ولاجل أن نرسم صورة واضحة لما يصيب الفلاح من جراء هذا الوضع نستعين بما نقتبسه من تقرير «الاكتاب التائلى اليهودى الوطنى» لاستئجار الاراضى التى وضعت تحت تصرف المهاجرين منهم:

« يتعهد المستأجر استخدام العمال اليهود فى جميع الاعمال الزراعية. وعند التقاعس عن هذا الواجب باستخدام عمال من غير اليهود يجب أن يدفع المستأجر تعويضا قدره عشرة جنيهات فلسطينية عن كل خرق لهذا الشرط.... واذا خرق المستأجر أحكام المادة هذه ثلاث

مرات « فللاكتتاب التأثلي اليهودي الوطني » الحق في استرجاع الارض من غير ما تعويض. » تقرير سمبسون ١٩٣٠

وينص النظام الاساسي للوكالة اليهودية على أن: «الارض التي تمتلك يجب أن تحسب ملكا يهوديا، وتؤخذ باسم « الاكتتاب التأثلي اليهودي الوطني» ، وانها ستصبح بعد الحصول عليها أملاكا موقوفة على الشعب اليهودي . » تقرير سمبسون ١٩٣٠

فالارض التي تبتاعها «الوكالة اليهودية» ـحسب هذه التسويةـ من ملاك عربي مثلا، كان يستخدم فلاحين عربا، لا تصبح ـبصورة ذاتيةـ أرضا يستطيع أن يستثبت فيها الفلاح العربي. أو كما أوضح ذلك السر جون سمبسون في تقريره:

« تصبح هذه الارض المسلوبة أرضا لا يستطيع أن يجني العربي منها أية فائدة كانت ، سواء الان أم في أي وقت ما في المستقبل . ولا يستخدم في اكتساب قوته اليومي منها الى الابد. كما لا يستطيع أحد أن يساعده على شرائها واعادتها الى الانتفاع العام. فالارض ملك موقوف لا ينتقل الى أحد. »

ووجدت أسباب كثيرة مبررة لاتباع مثل هذه السياسة من حيث اعداد محلات جديدة للمهاجرين اليهود؛ ولكن يجب أن نفهم، على الاقل، أنه بالرغم من الاصلاحات التي حدثت في نواحي اخرى من جراء اتباع هذه السياسة، وبالرغم من أن كل

خطوة يخطوها الصهيونيون فى سبيل امتلاك أراضى العرب فى فلسطين هى شرعية، وانهم دفعوا أثمانا غالية عنها، فان الجماهير العربية شعرت، بصورة عامة، أن وضعها سائر من سيء الى أسوأ. فالقضية ليست عملية حسابية يراد بها احصاء عدد الذين خسروا أراضيهم، ولا هى قضية هؤلاء الذين لا يرضون بديلا عنها، وانما هى قضية تتعلق بموقف هذه القوة التى تتقدم اليهم ببطء وتصبح خطرا عليهم، هذه القوة التى تجلب معها النشاط، والذكاء، والمال، والعدة الفاخرة؛ ان هذه القوة هى التى حسبها العرب جبارة الى حد بعيد نظرا لموقفها هذا منهم، وسلاحها المصلت عليهم. لذلك فقد أخذ العرب يواجهون مستقبلهم بقلق واهتمام.

ولكن لماذا لا نترك هذا الشعور جانبا، لا سيما اذا ما عرفنا ان عددا ضئيلا جدا من الناس يسكنون قطعة أرض صغيرة يتأثرون بهذا الموضوع؟ لماذا لا يستطيع العرب التضحية بهذا القسم الصغير من « بلادهم الشاسعة الاطراف »، ويقبلون حتى فكرة مبادلة السكان مع العراق مثلا اذا ما كان فى هذه التسوية تحقيق أحلام اليهود؟ وهذا الاقتراح هو ما تسعى لتحقيقه بعض الجهات سعيا حثيثا فى هذه الايام، وكثير من الامريكيين يحسبونه اقتراحا معقولا لحد بعيد.

ان هؤلاء الذين يدعون لهذه الفكرة لا يشرحون لنا ما الذى نعمله مع المؤسسات الدينية الاسلامية الواسعة فى فلسطين، بما فيها من الجوامع العظيمة والمدارس المتنوعة. وهذه المؤسسات الدينية ليست ـ كما هو شأن المؤسسات المسيحية ـ نصبا تذكارية بالدرجة الاولى. وانما هى مراكز ثقافية وتعبدية لدين حى تقع فى منطقة فعالياته المركزية. وللمحافظة على هذه المؤسسات يتطلب وجود عدد هائل من السكان المحليين. ومعنى اجلاء مليون عربى فلسطينى الى العراق هو وسيلة اخرى للقضاء على هذه المؤسسات. ثم ان هذه المؤسسات تتطلب أن يتدفق اليها سيل من الحجاج والمتعبدين على أن يكونو أحرارا فى ذهابهم وايابهم، أحرارا ماديا ومعنويا. وهذا أمر يهم العالم الاسلامى قاطبة. واذا كنا نعتقد ان هذا الامر لا أهمية له، فهم لا يتفقون معنا.

أما فيما يتعلق « بالبلاد الشاسعة الاطراف » التى يملكها العرب فمعظمها صحراء. والاراضى القابلة منها للزراعة محصورة فى منطقة ضيقة يسمى قسمها الشمالى بالهلال الخصيب. ولا تأتى قيمة فلسطين، للعرب كانت أو للصهيونيين، من حجمها، وانما تأتى من وضعها الجغرافى، وما يؤديه هذا الوضع من فوائد ومنافع تستطيع به أن تقوم بانجاز وظائفها.

مركز فلسطين :

ان أهمية فلسطين المادية اليوم ترجع بالدرجة الاولى الى موقعها على ساحل البحر الابيض المتوسط. فهى تجاريا تعد من المنطقة الاوروبية. وتقع فى موضع سوقى مهم بين أوروبا وبين التقدم الصناعى الآخذ بالنمو، لا بالنسبة الى فلسطين ذاتها، وانما بالنسبة الى البلاد العربية الواقعة شرق فلسطين، هذه الاقطار العربية التى بدأت تدخل فى عهد اقتصادى جديد. ويقدر أحد الباحثين الصهيونيين أن فلسطين تستطيع أن تخدم ٤٠ مليونا فى المنطقة التى تناخمها متاخمة تامة، وتستطيع أن تؤدى خدماتها الى ٤٠٠ مليون نسمة فى منطقة بعيدة عنها بعض البعد. وستحتاج هذه المنطقة الى مساعدة أموال خارجية؛ ولكن أموال من ستكون هذه؟ وما هى السيطرة التى سترافق هذا المال؟ فاذا كانت أهمية فلسطين الاقتصادية ستقوم ـ كما أظن ـ فى المستقبل على التجارة لا على الزراعة والصناعة، فرخاؤها سيعتمد لدرجة عظيمة جدا على علاقاتها مع البلاد العربية الاخرى التى تزداد أهميتها يوما بعد يوم. والعكس يصح، فرخاء البلاد العربية الداخلية يمكن أن يتوقف لدرجة عظيمة على علاقاتها بالقوى المالية، والمستودعات التجارية، والطرق التجارية الواقعة فى فلسطين وحواليها.

ولا تخفى أهمية هذه الحقائق على كل صهيوني؛ كما لا تخفى على العربي الذي يرغب في أن يكون سيد مستقبله الصناعي. فهو يرغب اذن في أن تكون له منفذا تجاريا قريبا على شواطىء البحر الابيض المتوسط، وأن يستفيد من موانىء فلسطين وطرقها البرية ومحطاتها الجوية، وأن يكون على قدم المساواة مع غيره. وستكون العلاقات الثقافية مع أوروبا مهمة أيضا لحياة البلاد العربية الجديدة. ولهذا يكون تسليم فلسطين الى اليهود، وسيطرتهم وحدهم عليها معناه قبول وضع حاجز بينهم وبين أوروبا، وهم في مستهل نهضتهم القومية الجديدة.

وحينما تتسع خطط الصهيونيين، كما يريدها ناس، فتبلغ شرق الاردن وتصبح ضمن ممتلكاتهم، يجب ألا ننسى أن الاراضي الصهيونية حينئذ ستشق لنفسها طريقا واضحة في الهلال الخصيب حتى تبلغ الصحراء. وستقع بصورة محكمة على طرق السفر والحج الشمالية والجنوبية، بما فيها من سكة الحديد التي مدت خصيصا لتسهيل سفر الحجاج بين مكة والبلاد الاسلامية الشمالية. وسيبعث من جراء ذلك، ضمن البلاد العربية، كابوس السياسة الاوروبية المعروف بـ « الممر » Corridor. ومثل المطالبة بفلسطين وشرق الاردن بعدهما جزءا صغيرا من مجموع البلاد العربية كمثل من يطلب جزءا مكروسكوبيا من رسغ اليد.

والذى يوجب الارتباك والقلق فى هذه المقترحات التى يطلب من الولايات المتحدة أن تسندها وتكون طرفا فعالا فيها، ليس هو فى تنافس المصالح التى تعد اليوم شيئا اعتياديا فى العالم، وانما هو فى السكوت الذى يستولى على دعاة الصهيونية فى وجود مثل هذه المصالح للعرب. فهم لا يذكرون طموح العرب السياسى، الذى تدعمه وتصدقه بريطانيا العظمى، كما تدعم طموحهم أيضا؛ وانما يميلون الى أن يسودو ويشوهو تقدم الشعوب العربية الثقافى ويسيئو الى مصالحها الكثيرة، هذا التقدم وهذه المصالح التى يفضل الصهيونيون أن يجسموها ويمثلوها فى شخص البدوى التائه فى الصحراء بدلا من أن يمثلوها فى أعضاء « المجمع العلمى العربى » وعلماء بيروت، ويجسموها فيهم. وحتى أنهم يصورون العرب فى رسائلهم ومناشيرهم التى يوزعونها فى الولايات المتحدة بأنهم « رحل » و « متأخرون » و « نصف متمدنين » . أيجهلون الحياة الجامعية العربية الحديثة، والادب الجديد، والتاريخ الحديث، والقوة الاقتصادية الجديدة؟ أيتناسون ان العرب هم الذين حفظو لنا مدة ستة قرون ثقافة اليونان المقتداة (الكلاسيكية) يوم كانت ظلمة القرون الوسطى ضاربة أطنابها فى أوروبا؟

ألم يعلم هؤلاء الصهيونيون أنه كما هم يسعون لبناء نهضة

جديدة فى فلسطين فكذلك تفعل الشعوب العربية الكثيرة بعد اضطهاد عثمانى دام أربعة قرون؟ ان المستر «لودر ملك» الذى لا يمكن اتهامه بالتحمس الزائد لمستقبل العرب يشهد ان زراعة عرب فلسطين وصناعتهم قد تقدمتا تقدما سريعا من غير مساعدة مالية خارجية (كتابه: فلسطين، الارض الموعودة، ص ١٥٨ وما يليها)، حيث ان العرب قد اسسو فى السنوات الاخيرة ٢٠٠٠ مصنع فى فلسطين وحدها (نفس الكتاب: ص١٠٩). ان العالم العربى الناشىء يعيش اليوم كما يجب أن يعيش الانسان، يمتد فى مستقبله بصورة خاصة ويعيش فيه. والقومية العربية عليها أن تحصل على ثبات، وضبط ذاتى، ومسؤلية عالمية؛ ولكن مادتها أو محتوياتها أو جوهرها هو الاعتقاد الراسخ لما يجب أن تكون لا لما هو كائن لديها الان.

فان كان الصهيونيون لا يعرفون هذه الحقائق، فقد حان الوقت لان يعرفوها. وان كانو يعرفونها، فلماذا هم دوما يتكلمون ويعملون كأن هذه الحقائق ليست صحيحة؟ واعتقد أن الفشل الذى يلازمهم، هذا الفشل الذى جعلهم لا يقدرون المعانى التى تنطوى عليها القومية العربية فيتركون منها ما يشاؤن هو مفتاح الناحية العاطفية التى تلازم القضية الفلسطينية.

فهل يستطيع أحد أن يبين للشعب الامريكى ـ بعد أن كشفنا القناع عن الصهيونية وخططها ونياتها ـ لم لا يرحب العرب بفكرة الاعتماد على الصهيونيين وحسن نياتهم والتفاهم معهم فى سبيل تقدمهم، مهما كانت درجة هذا الاعتماد؟

ليس « الافندية » المثاغبون ـ الذين يقول فيهم الصهيونيون أنهم العقبة الكؤد التى تحول دون تنفيذ خططهم ـ وليس ملاكو الاراضى ورجال الدين الاغنياء وحدهم، وانما جميع سكان عرب فلسطين والاقطار الشقيقة المجاورة لا تستطيع أن تكيف عقلها لتقبل هذه الفكرة.

يطلب جماعة من الامريكيين أن نقطع عهدا قويا للقضية الصهيونية السياسية ـ وأخشى أن نقطع هذا العهد وعيوننا لم تتفتح بعد كثيرا ـ عهدا لا يزيد فى توتر الوضع الذى خلقته ظروف الحرب اليوم، وانما سيخلق نفورا فى العالم الاسلامى من كل ما هو أمريكى وانكليزى، هذا العالم الاسلامى الذى يبحث عمن يكفل له مستقبله فى مكان آخر.

واذا قلت اننى أعتقد أن الصهيونيين السياسيين فى الوقت الحاضر، بكونهم يختلفون عن الصهيونيين الذين اشتغلو فى حقل الثقافة وشيدو « الجامعة العبرية » العظيمة الذين يعرفون جيدا ما يجب أن يكون عليه « الوطن القومى » ، فاننى أتكلم

عن بصيرة وروية، واعتقد أن الصهيونيين السياسيين هم أشد أعداء القضية الصهيونية، كما أنهم أشد أعداء المصالح اليهودية في عالم الغد. فأي نفع يرجون من انتشال اخوانهم من تعصب أوروبا وبنون لهم مجتمعا في فلسطين تحميه قوة « غربية » (واذا ما تدخلنا نحن، فتحميهم قوة أميركية أيضا) لان هذا المجتمع يحيط به جو مملوء بالريبة والخوف أولدته أساليبهم الخاصة التي يتوسلون بها لتحقيق مطامعهم القومية في بلد أساؤ اختياره!

"Arab Nationalism and Political Zionism"

BY

Ernest William Hocking, Issued by the League of American—Arab Committees for Democracy, Flint,

Michigan, U.S. A.

الانتداب على فلسطين

بقلم السر جون هوپ سمپسن

بمناسبة الانتخابات الاخيرة التى جرت فى الولايات المتحدة الاميركية لرئاسة الجمهورية فقد نشر كلا الحزبين السياسيين العظيمين تصريحات تتعلق بفلسطين . وكانت صيغة تلك التصريحات متماثلة تقريبا . فقد طلب الحزبان المذكوران فتح أبواب الهجرة الى فلسطين على مصاريعها والفسح المطلق فى تملك اليهود للاراضى ليتسنى بذلك جعل فلسطين دولة حرة ديمقراطية . وقد أضاف الحزب الجمهورى الى تصريحه استنكارا لتقصير رئيس الولايات المتحدة فى الاصرار على قيام الدولة المنتدبة على فلسطين بتنفيذ نصوص تصريح بلفور وصك الانتداب فى الوقت الذى كان يدعى تأييده لهما . وقد تأسست اخيرا فى لندن (عصبة يهودية لدومنيون فلسطين) هدفها الرئيسى تحويل فلسطين الى دولة يهودية ذات حكم ذاتى تضم المناطق الواقعة على جانبى نهر الاردن ولها صبغة (دومنيون) ضمن الانبراطورية البريطانية . وعليه يتضح كل الوضوح أن جهودا واسعة ستبذل لتغيير وضع الوطن القومى اليهودى فى فلسطين .

أن فلسطين تحكمها الحكومة البريطانية بناء على الانتداب الممنوح اياها بمقتضى احكام الفقرة (٤) من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم . أن هذه المادة تشمل المستعمرات والاراضى التى خرجت بسبب الحرب من تحت

سيادة الدول التى كانت تحكمها قبلا وتقطنها « شعوب لا تستطيع الاستقلال فى الاحوال الشاقة التى تسود العالم الحديث » . وقد ذكر فى تلك المادة « أن رفاهة هذه الشعوب وتقدمها هما أمانة مقدسة فى عنق المدنية وأنه ينبغى أن تدير شؤنها دول تندبها عصبة الامم » . ووضع فى الفقرة (٤) نص خاص كالاتى :-

« ان بعض الجماعات التى كانت تابعة قبلا للانبراطورية التركية قد وصلت الى درجة من السمو بحيث كان فى الاستطاعة الاعتراف بها الى حين أمما مستقلة على أن تسدى اليها المشورة والمساعدة الادارية دولة مندوبة الى أن يحين الوقت الذى تتمكن فيه من الاستقلال . ومن المحتم فى اختيار الدولة أن تعتبر رغبات هذه الجماعات اعتبارا رئيسيا » .

أن هذا النص الوارد فى ميثاق عصبة الامم هو على غرار النقطة الثانية عشرة من نقاط ولسون الاربع عشرة . وهذا نصها :-

« . . . ان القوميات الاخرى التى هى الان تحت الحكم التركى يجب أن تضمن لها الحياة ضمانا لا شك فيه وتتاح لها فرصة تامة مطلقة لا تدخل فيها ولا ازعاج للتقدم فى سبيل الحكم الذاتى » .

وقد يظهر أن استقلال فلسطين العربية التى كان يبلغ عدد العرب فيها نحوا من (٩٠) فى المائة من السكان عند نشوب الحرب العالمية الاولى تضمنه نصوص صك الانتداب الواردة

في ميثاق عصبة الامم . يضاف الى ذلك أن العرب أنفسهم يعدون هذا الاستقلال مضمونا بصورة أقوى في الوعود المقطوعة في مراسلات مكماهون التي كانت موضوع أخذ ورد . أن هذه المراسلات كانت قد جرت في خريف وشتاء سنتي ١٩١٥و١٩١٦ بين السر هنري مكماهون المندوب السامي في مصر يومئذ بالنيابة عن الحكومة البريطانية وبين ملك الحجاز شريف مكه . وكان الوضع العسكري في الشرق الادنى في ذلك الحين رديئا ورغبت الحكومة البريطانية في الحصول على معاونة العرب لها على القوات التركية ، ولذا وعد السر هنري مكماهون الملك حسينا باستقلال المناطق التي يقطنها العرب ضمن الانبراطورية التركية مع بعض الاستثناءآت وذلك في مقابل مساعدة مسلحة يسديها العرب . أن فلسطين لم تذكر بالاسم في المراسلات المبحوث فيها . وتدعي الحكومة البريطانية بأن فلسطين داخلة ضمن المنطقة المستثناة اما العرب فيدعون بخلاف ذلك ويقولون أن بعض المناطق قد أستثنيت بداعي وجود مصلحة لفرنسة فيها وأنه ليس لفرنسة مصلحة خاصة في فلسطين ، لكنها تهتم اهتماما شديدا بسورية الشمالية . كما انه لم يكن في الامر سبب بديهي لاستثناء فلسطين من ذلك الاتفاق لان تصريح بلفور لم يصدر الا بعد مرور سنتين على اغلاق مراسلات مكماهون .

ومن الواضح أنه كانت قد استعملت فى هذه المراسلات تعابير أدت الى سوء فهم خطير . ومن الشكوك فيه كون العرب يقبلون الاشتراك فى ثورة الصحراء لو انهم علموا علم اليقين بان الحكومة البريطانية قد استثنت فلسطين من المنطقة التى وعدو باستقلالهـــا .

أن سبك مراسلات مكماهون كان بشكل يدعو الى الاسف، كما أن صيغة تصريح بلفور نفسه لم تكن أقل لفتا للنظر منها . أن هذا التصريح كان قد صـدر بشـكل رسـالة مؤرخـة فى ٢-١١-١٩١٧ معنونة الى اللورد روتشايلد وممضيها المستر اى. جى. بلفور وزير الخارجية يومئذ وفيما يلى السطر نصها :-

« يسرنى جـدا أن ابلغكم عن حكومـة جلالته التصريح الآتى الذى يتضمن العطف على امانى اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته :-

« ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى المشروع الذى يراد به تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسـطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا انه لن يأتى عمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية التى فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الاخرى » .

« وأود لو تعرضون هذا التصريح على انظار الاتحاد الصهيونى ».

ومما تجدر ملاحظته أن هـــذه الرسالة لم تشرح تماما المقصود من (امانى اليهود الصهيونية) التى كانت موضع عطف الحكومة البريطانية ، كما لم يرد فيها تعريف لاصطلاح (وطن قومى للشعب اليهودى) ، ولم ترد اشارة ما الى الحقوق السياسية المشار اليها فى الفقرة المختصـة بالمحافظة على الحقوق الاخرى الخاصة بالسكان الحاليين . أن وصف العرب الذين كان يبلغ عددهم وقتئذ (٩٠) بالمائة من مجموع ســكان فلسطين بعبارة (الطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلســطين) كان ينم على الازدراء والاهانة ، يضاف الى ذلك أن خاتمة الرسالة المذكورة كانت زائدة بصـورة تبعث على الهزؤ ، الا اذا أريد استعمالها كستار ، لانه أصبح من المفهوم فيما بعد أن الصهيونيين انفسهم كانو قد ساهمو فى قسط كبير من تسـويد تلك الوثيقة . أن تصريح بلفور يجب أن يعد حقا كوثيقة سياسية فريدة ، وذلك من حيث الغموض والابهام فى سـبك عباراتها وفى اشارتها المهينة بلا داع الى الشعب الذى كان فى ذلك الوقت من حلفاء بريطانية العظمى ولسترها الدقيق للغرض النهائى الذى كانت حكومة صاحب الجلالة فى ذلك الحين تعلق الامل على تحقيقه .

أن الانتدابات على البلدان العربية التى كانت سابقا تابعة

للحكم التركي عينت في مؤتمر (سان ريمو) في نيسان سنة ١٩٢٠ ، وكان العراق وفلسطين من نصيب بريطانية العظمى دون الرجوع الى رغبات السكان كما تطلبت ذلك الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم . لكن الصلح مع تركيا لم يكن قد عقد بعد ، وكانت فلسطين تحتلها القوات العسكرية احتلالا حقيقيا ذلك الاحتلال الذي كان يجب أن يبقى حتى ابرام معاهدة الصلح ، كما انه لم يكن في الاستطاعة فرض الانتداب من قبل عصبة الامم ما لم يكمل عقد الصلح ؛ أي الى أن تبرم معاهدة لوزان التي أمضتها في تموز سنة ١٩٢٣ الدول ذات العلاقة . بيد أن الحكومة البريطانية لم تنتظر الترتيبات المعتادة اذ انها في ١ تموز سنة ١٩٢٠ أبدلت من الحكومة العسكرية في فلسطين ادارة مدنية ، وعينت السير هربرت صاموئيل (الفيكونت صاموئيل الآن) مندوبا ساميا ، وأخذت الترتيبات على الاثر لتنفيذ الوعود المقطوعة في تصريح بلفور ، وصارت هجرة اليهود الى فلسطين تشجع ؛ فصدر اول مرسوم بها في شهر ايلول من السنة ١٩٢٠ وحددت الهجرة للسنة الاولى بـ (١٢٥٠٠) مهاجر . أن هذه الاجراءات احدثت قلقا كبيرا في نفوس السكان العرب ، فحدث في ١ مايس سنة ١٩٢١ اصطدام بين العرب واليهود في تل ابيب ويافا ولكن تلك

الاضطرابات قمعت حالا . وقد رفعت لجنة تحقيقية تقريرا أفادت فيه أن سبب الاضطرابات كان عداء العرب فيما له علاقة بالهجرة اليهودية وبمفهومهم للسياسة الصهيونية كما عبر عنها زعماء اليهود . أن هذه كانت أولى الاضطرابات الكثيرة التى كانت موجهة اولا على الهجرة اليهودية ثم على اليهود والدولة المندوبة ، واخيرا من السنة ١٩٣٦ حتى اندلاع نار الحرب العالمية الثانية تشكلت بصورة تمرد عام على الحكومة المندوبة الى فلسطين .

لقد وضع الانتداب موضع التنفيذ فى ٢٩ ايلول ١٩٢٣ ومنذ ذلك الحين أصبح مركز الدولة المندوبة قانونيا . ان نصوص الانتداب تستحق الانتباه ، فهى وثيقة مكونة من ٢٨ مادة ، ولكن العدد الذى له أهمية خاصة منها قليل بالنظر لموضوع تأسيس الوطن القومى اليهودى فى فلسطين . وتتضمن المقدمة على القسم البارز ممن تصريح بلفور وجملة (بهذا قد تم الاعتراف بالصلة التاريخية بين الشعب اليهودى وفلسطين وبالاسس التى بموجبها سيعاد انشاء الوطن القومى فى تلك البلاد) .

وقد خولت المادة الاولى الدولة المندوبة صلاحيات تامة فى التشريع وفى الادارة . كما أن المادة الثانية جعلت الدولة المندوبة

مسؤلة عن الاحوال التى تضمن تأسيس الوطن القومى اليهودى (وكذلك للمحافظة على الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن عنصريتهم ودياناتهم) . اما المادة الرابعة فقد اشترطت الاعتراف بوكالة يهودية لائقة كمؤسسة عامة لتقديم المشورة وللتعاون مع الادارة فى الامور التى تتعلق بتأسيس الوطن القومى اليهودى . وللمادة السادسة أهمية خاصة اذ انها تنص على أن ادارة فلسطين فى الوقت الذى تضمن فيه عدم الاجحاف بحقوق وأوضاع بقية الجماعات من السكان ستسهل الهجرة اليهودية فى حالات ملائمة وستشجع، بالتعاون مع الوكالة اليهودية ، على حشد اليهود فى الاراضى بما فيها من الاراضى الاميرية والاراضى الموات التى ليست مطلوبة لمقاصد عامة.

انه لمن الصعب لا بل من المستحيل التوفيق بين احكام صك الانتداب هذا وبين احكام ميثاق عصبة الامم الذى صدر ذلك الانتداب بموجبه . لقد اشترط ميثاق العصبة أن رفاه وتقدم سكان فلسطين وقت احتلالها هما امانة مقدسة فى عنق المدنية وانه فى الاستطاعة الاعتراف بهم موقتا كأمة مستقلة بشرط أن تسدى اليهم المشورة والمساعدة دولة مندوبة . وعلى هذه الاسس وغيرها من الاسس أدعى السكان العرب منذ اوائل عهد الانتداب بأن الانتداب عديم السلطة وهم يشعرون بأن بريطانية العظمى

تمارس الانتداب ليس نيابة عن سكان فلسطين بل نيابة عن دولة اجنبية هى المنظمة الصهيونية العالمية • وقد شهدو تلك الدولة تأتى بعشرات ألوف من اليهود الى فلسطين وهم يتباعون مساحات شاسعة من الاراضى التى كان العرب يملكونها قبلا ويشغلونها بطرق تمنع تكرار بيعها ، ويؤجرونها اليهود حسب ،حتى انهم يشترطون عدم استخدام احد فيها من غير اليهود • ولذا فليس من العجب أن يعيش عرب فلسطين فى حالة خوف مستمر من الاحوال التى يحتمل أن تستفحل فى مستقبلهم المجهول •

أن المستعمرات اليهودية فى فلسطين لدليل على نجاح باهر • وقد جرى الاهتمام بوجه خاص بالمستعمرات الزراعية منها • فقد أعلن بها بصورة واسعة ، وربما كان ذلك بسبب ما جاء فى المادة السادسة من صك الانتداب خاصا ما يشجع على حشد اليهود فى الاراضى وربما كان فى الامر سبب آخر هو الدافع الخيالى وحب المخاطرة ، الا أن الاهتمام بهذا القسم من اعمال المنظمة الصهيونية غير متناسب • فقد جاء فى تقرير اللجنة الملكية أن نسبة عمال الاراضى الى السكان اليهود هو اليوم ٦/٤ بالمئة • أن اغلبيـة المهاجرين اليهود ليسو من عمـال الاراضى ولكنهم من الحضر • ذلك أن عدد سكان احدى المدن وهى تل ابيب يربو بكثير على مجموع سكان جميع المستعمرات الزراعية ،

وهذا لا يعنى أن المستعمرات اليهودية هذه هى غير مهمة ، لان هذه المستعمرات ما هى الا نتيجة المهاجرة الفنية والنشاط العظيم والمواد التى تجهزها الجماعات اليهودية من بلدان كثيرة . غير أن معظم سكان فلسطين اليهود اليوم يؤلفون من عمال ماهرين وعمال عامين فى الصناعات وفى الاشغال العامة ، ومن رجال صناعة وتجار واشخاص يعيشون من مواردهم الخاصة ، ومن اصحاب المهن المختلفة . أن عدد هذين الصنفين الاخيرين من اليهود كبير جدا ، وفى بعض النواحى نرى أن عدد اصحاب المهن لا يتناسب البتة مع حاجاتهم . فقد علمت اللجنة الملكية بأنه يوجد فى تل ابيب طبيب واحد لكل (١٦١) شخصا . على حين اننا نجد فى فلسطين كلها طبيبا واحدا لكل (٥٦٠) شخصا ، مع اننا نجد فى المملكة المتحدة طبيبا واحدا لنحو (١٠٨٥) شخصا .

أن التقدم الصناعى أمر جوهرى لرخاء القسم اليهودى من السكان الذين زاد عددهم من (٥٥) الفا من سنة ١٩١٨ الى نصف مليون على الاقل فى الوقت الحاضر . وفى سنة ١٩٤٢ كانت قيمة انتاج العمال الصناعيين بمقدار (٣٠) مليونا من الباونات . وزيادة على التجهيزات والمهمات الحربية كانت الصناعة اليهودية فى فلسطين قد انتجت مواد حديدية وفولاذية

ومنسوجات وسلعا من الجلود ومواد غذائية ومستحضرات كيمائية وصيدلية . أن هذا التقدم الغريب يعزى الى ثلاثة اسباب رئيسة وهى :ـ

١ ـ تجهيز رؤس اموال بفائدة زهيدة (وقد وصف البروفسور « بنتويج » رؤس الاموال هذه بقوله : انها أداة رأسمالية تحت ستار الاعمال الخيرية) .

٢ ـ الاحتكار المهم لتوليد القوة الكهربائية الذى منحته الحكومة للمستر (بنهاس روتنبرغ) المهندس اليهودى الروسى، وهو الذى تستثمره الشركة الكهربائية الفلسطينية . أن بعض شروط هذا الاحتكار تستوقف النظر هذا عدا شرط تأجيل دفع الرسوم الكمركية على المهمات المستوردة من الخارج الى أن تكون ارباح الشركة ، بعد أخذ مبالغ واطفاء رأس المال والاندثار الاحتياطى ، كافة لتمكين الشركة من دفع حصة لحاملى الاسهم لا تقل عن (٨) بالمائة فى السنة من غير استيفاء ضريبة عليها .

أن مبدأ قدرة الاستيعاب الاقتصادية طبق من السنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٦ على عدد العمال من المهاجرين اليهود . ان هذا المبدأ كان قد وضع فى اول مرة فى مذكرة المستر تشرشل المؤرخة فى ٣ حزيران ١٩٢٢ وهذا نصه :ـ

« ان هذه الهجرة لا يمكن أن تكون كبيرة الى حد يزيد على قدرة البلاد الاقتصادية فى قبول مهاجرين جدد » .

وقد تأيد المبدأ المذكور فى كتاب مؤرخ فى ١٣ شباط ١٩٣١ بعث به المستر رامزى ماكدونالد رئيس الوزراء الى الدكتور وايزمن ، ووصفه رئيس الوزراء بقوله (انه تفسير رسمى للكتاب الابيض) . لقد ذكر فى ذلك الكتاب ان القاعدة التى ستسترشد بها الحكومة فى تعيين عدد المهاجرين اليهود ستكون « مبدأ قدرة الاستيعاب الاقتصادية » ، ومن المهم أن تيسر رؤس الاموال الخيرية ، بغض النظر عن الربح ، ووجود قوة كهربائية بكلفة قليلة جدا ووجود حماية عن طريق التعريفات الكمركية ، والاعفاءآت من الضرائب، كل هذه من شأنها أن تؤدى الى توسيع الصناعة بصورة مصطنعة وبذلك تزداد المقدرة الاستيعابية لقبول عدد كبير من المهاجرين اليهود . وهكذا نرى أنه فى امكان المنظمات الصهيونية أن تتصرف بالمقدرة الاستيعابية بالشكل الذى قد تتطلبه الظروف .

أن اللجنة الملكية كانت قد بحثت هذه المسألة بدقة وامعان ، ووجهت النظر الى الاخطار الملازمة لتطبيق ذلك المبدأ وحده دون غيره ، وبينت ما لديها من الاسباب لتوصلها الى النتيجة الآتية : وهى وجوب أخذ العوامل السياسية والنفسية ايضا بنظر

الاعتبار عند البت فى عدد العمال اليهود ، وانه يجب وضع حد سياسى أعلى وأن يكون ذلك (١٢) الفا فى السنة للخمس السنوات المقبلة . أن أهمية هذا القرار وتأثيره فى تقدم الوطن القومى يمكن أن يحكم فى أمره من هذه الحقيقة : وهى انه من المدة المبتدئة من السنة ١٩٣٣ الى شهر آب من السنة ١٩٣٦ زاد عدد المهاجرين اليهود على (١٥٦) الفا . وهو رقم يربو بكثير على مجموع الهجرة اليهودية المسجلة من السنة ١٩٢٠ حتى ختام السنة ١٩٣٢ . أن السبب لهذه الهجرة الواسعة النطاق فى السنة ١٩٣٣ وفى السنوات التى تلتها يعزى الى الحوادث التى وقعت فى المانية . أن التشريع الذى سن فى مدينة (نورنبرغ) للمحافظة على نقاوة العنصر الالمانى والمعاملة القاسية التى لقيها اليهود فى المانية تحت الحكم النازى أدت الى هجرة واسعة من تلك البلاد واصبحت فلسطين الملجأ الرئيس فى نظر يهود المانية ومن ثم فى نظر يهود النمسا ايضا . ولما أشتدت مناهضة السامية وسرت الى بلدان اخرى فى اوربا أصبح الوضع اكثر أهمية وخطورة ، وألح على حكومة فلسطين وحكومة المملكة المتحدة لتفتح ابواب الهجرة الى فلسطين بصورة اوسع . وبما أن البلدان الاخرى رفضت قبول مهاجرين الا بعدد ضئيل غير واف بالمرام فأن الطلب الواقع على الحكومتين المذكورتين كان امرا طبيعيا

لكنه جاء مخالفا للسياسة التى أوصت بها اللجنة الملكية ، تلك السياسة التى اتبعتها الحكومة البريطانية فيما بعد . ويلاحظ فى هذا الصدد أن عدد المهاجرين اليهود من السنة ١٩٣٧ الى السنة ١٩٤٢ (٥٠١٩٧) شخصا .

أن التدابير لهجرة اليهود الى فلسطين جرت بمقدرة فائقة . فقد قامت الوكالة اليهودية واتحاد العمال الوطنى (هستادروت) بنجاح باهر باستقدام ونقل واسكان العمال الذين تمت الموافقة على دخولهم فلسطين . لقد وقع انتقاد من جانب فئة من يهود فلسطين المحافظين هو قولهم : أن سلطات الاستقدام قد أخذت بنظر الاعتبار العوامل السياسية لا الدينية . ومما تحسن ملاحظته فى هذا الشأن هو اننا بينما نرى أن « المعبد » كان مركز حياة القرية فى المستعمرات القديمة المؤسسة قبل تصريح بلفور نرى أن « المدرسة » هى التى حلت محل المعبد فى المستعمرات التى أسست بعد التصريح المذكور . أن عامل السياسة ظاهر الآن أكثر من عامل الحماس الدينى كثيرا . وعلى حد قول الدكتور (توينبى) : « تكون الصهيونية فى جوهرها شعورا علمانيا وسياسيا واقتصاديا يعرب عن أمانى اليهود القومية » . فالحركة الصهيونية اليوم هى فى الواقع شعور قوى بالقومية السياسية ولا تعد المستعمرات اليهودية بعد الآن

مستعمرات ليهود فلسطينيين فى فلسطين (ولم تعد كذلك قبلا) بل ليهود قوميين فى اراضى اسرائيل • أن هذه النقطة تجعل التراصى بين المهاجر اليهودى وبين العربى الفلسطينى الاصلى امرا مستحيلا •

وبالنظر الى البيانات الرسمية الصادرة من زعماء الصهيونية كان من الانصاف القول ان سياسة الصهيونية لم يكن هدفها فى بادىء الامر السيطرة السياسية فى فلسطين • فقد جاء فى البيان الذى أدلى به رئيس المؤتمر الصهيونى العاشر المنعقد فى بال فى شهر آب من السنة ١٩١١ ما يأتى :ـ

« ليس بين الناس من يستطيع اتهامنا برغبة تأسيس مملكة يهودية مستقلة الا الذين يجهلون حقيقة الامور كل الجهل ، أو الذين يدفعهم دافع الحقد والضغينة ... ان هدف الصهيونية هو أن يقام فى فلسطين للشعب اليهودى وطن معترف به بصورة علنية ومضمون بصورة قانونية لا أن تقام دولة يهودية بل وطن فى أرض آبائنا القديمة حيث نستطيع أن نعيش عيشة يهودية بدون ظلم واضطهاد • وما نطالب به هو أن تعطى الفرصة للمهاجرين اليهود الى فلسطين للتجنس ، تجنسهم مواطنين بدون تحديد ، وان يتمكنو من العيش هناك ، من دون وضع العراقيل أمامهم ، تبعا للعادات اليهودية ... هذا هو هدفنا وليس أى شىء آخر » •

وقد ذكر المستر سوكولوف رئيس المنظمة الصهيونية وقتئذ في مقدمة كتابه المسمى (تاريخ الصهيونية) والصادر في السنة ١٩١٨ مايلي السطر :

« لقد قيل، وما زال يكرر ذلك المرة بعد المرة معارضو الصهيونية، بأن هدف الصهيونية هو احداث دولة يهودية مستقلة . لكن هذا القول قول مضلل خاطئ . ان احداث دولة يهودية لم يكن قط قسما من المنهاج الصهيوني » .

وصرح الدكتور وايزمن في اجتماع عقده موظفو الحكومه في فلسطين في ٢٧ نيسان ١٩١٨ بقوله :-

« ان جميع المخاوف التي تساور العرب ، وأعربو عنها علنا أو سرا ، بأنهم سوف يخرجون من مركزهم الحالي تعزى اما الى سوء فهم أساسي للامانى الصهيونية ، واما الى الاعمال والحركات الدنيئة التي يقوم بها اعداؤنا المتألبون » .

كما أنه قال في خطاب القاه في السنة ١٩٣١ على المنظمة اليهودية التي كان يرأسها آنئذ :-

« من المحتم أن نجعل العرب يشعرون عن طريق القول والعمل انه مهما تكن النسبة العددية للشعبين في فلسطين فاننا من جانبنا لا ننوى سيطرة سياسية ولكنه يتحتم عليهم أن يتذكروا أيضا باننا نحن كذلك لن نخضع لسيطرة سياسية » .

أن الحكومة البريطانية نفسها قد أخذت بهذا المبدأ الذى أعلن ، قبل أن منح مجلس العصبة الانتداب ، فى مذكرة المستر تشرشل المؤرخة فى ٣ حزيران ١٩٢٢ فقد جاء فيها ما يأتى :ـ

« لقد قيلت أقوال غير مصرح بها مؤداها : أن الغاية التى يرمى اليها هذا التصريح (تصريح بلفور) هى جعل فلسطين كلها يهودية . واستعملت عبارات كالقول ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترة انكليزية . وحكومة جلالته ترى ان كل أمل كهذا غير ممكن التحقيق وهى لا ترمى فى مثل هذا الهدف ، كما انه لم يخطر ببالها فى أى وقت كان ... أن يزول الشعب العربى أو اللغة أو الثقافة العربية فى فلسطين ، أو أن تصبح مسيطرا عليها . وهى تود أن تلفت النظر الى أن نص التصريح المشار اليه لا يرمى الى تحويل فلسطين بكليتها الى وطن قومى يهودى بل ان وطنا كهذا سيؤسس فى فلسطين » .

ولو كانت السلطات اليهودية قد قنعت بالغاية الاصلية من الاسكان فى فلسطين ـ اى حياة يهودية من دون ظلم ولا اضطهاد تبعا للعادات اليهودية ـ ما كانت هنالك صعوبة ما فى انشاء الوطن القومى ولكان فى استطاعة اليهود دخول فلسطين والاستقرار فيها ، كما فعل الكثيرون منهم ذلك قبل صدور تصريح بلفور بمدة طويلة ، والعيش فيها بمودة وصداقة مع مواطنيهم العرب ولاصبحو انفسهم من مواطنى فلسطين

المخلصين . أن الحقيقة التى تدعو الى الاسف هى أن الهجرة اليهودية الآن ليست مؤلفة من اليهود الذين يرغبون لدواع دينية فى العودة الى ارض صهيون كى « يعيشو فيها عيشة يهودية بدون ظلم او اضطهاد تبعا للعادات اليهودية » بل أن تلك الهجرة مؤلفة فى الغالب من يهود لا معتقدات دينية لهم ، بل تدفعهم الى ذلك روح القومية السياسية ويعتزمون تثبيت السيطرة على فلسطين التى هى وطن العرب منذ (١٣٠٠) سنة . ولم تبذل جهود ما لامتزاج اليهود مع السكان الحاليين بل الامر بالعكس نجد اختلافا كليا بين الحيوية الغربية الظاهرة فى المهاجرين وبين روح المحافظة الشرقية التى تعم معظم سكان فلسطين الاصليين . وبعد أن وصفت اللجنة الملكية المنظمات السياسية اليهودية فى فلسطين كتبت تقول : « ولكن من الصعب على كل حال أن يجد المرء فى التاريخ سابقة تضارع هذه السابقة من حيث تأسيس حكومة قائمة ضمن حكومة اخرى » .

أن سياسة حكومة صاحب الجلالة لحكومة فلسطين المقبلة هى السياسة التى تضمنها الكتاب الابيض الصادر فى شهر مايس من سنة ١٩٣٩ . وقد صدر الكتاب المذكور بعد التشاور مع ممثلين من اليهود والعرب ، وكان بين العرب ممثلون من مصر

والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن . أن النقطة البارزة في ذلك الكتاب هو القرار القاضي بتحديد هجرة اليهود الى فلسطين في المستقبل وجعلها بمقدار (٧٥) الفا في الخمس سنوات التي تبدأ من سنة ١٩٣٩ ومنع بعد تلك المدة لكل هجرة اخرى الا اذا كان العرب مستعدين للموافقة على ذلك . واقول بكلمة اخرى ان الحكومة البريطانية بعد اللتيا والتي اعترفت بأن فلسطين هي ارض عربية وستبقى كذلك الا اذا قرر العرب خلاف ذلك . اما النقطة الثانية المهمة فأنها تتعلق بشكل الدولة الفلسطينية المقبلة . فقد جاء فيها انه لدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الامن والنظام تشكل هيئة ملائمة من ممثلي أهل فلسطين وحكومة جلالته للنظر في كيفية سير الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة .

ان نية الحكومة البريطانية هي أنه في خلال مدة عشر سنوات ستصبح فلسطين دولة مستقلة تربطها معاهدة مع بريطانية العظمى . ومما لا مفر منه أن الاكثرية في تلك الدولة ستكون من العرب ، ولكن السكان اليهود في الوطن القومي في فلسطين سيكونون اقلية قوية منظمة تنظيما جيدا . وان كان في وسعهم قبول هذا الوضع والعيش في فلسطين كمواطنين

فلسطينيين مخلصين فان نفوذهم سيكون عظيما جدا وستقدم فلسطين تقدما سريعا . أما اذا رفضو التعاون فلا شك فى انهم سيتمكنون من خلق الصعوبات للحكومة الفلسطينيه من غير أن يربحو شيئا من وراء ذلك .

ونظرا الى الكتاب الابيض المذكور الذى هو آخر بيان صدر عن سياسة حكومة صاحب الجلالة فى الموضوع لن يكون لمركز الوكالة اليهودية الفلسطينية وسلطتها حاجة فيما يتعلق بمصالح الوطن القومى الذى رسخ تأسيسه الآن . أن وجود تلك السلطة قد أكد انعزال القسم اليهودى من سكان فلسطين فيما مضى ، وقد أدى ايضا الى توليد الشك فى نفوس العرب فى أن مصالح اليهود تمثل بصورة أقوى من مصالح العرب من قبل حكومة فلسطين . وقد سجلت اللجنة الملكية رأيها بأن من جملة العوامل التى سببت اعمال العنف من جانب العرب اعتقادهم أن اليهود فى وسعهم دائما أن ينالو ماربهم بطرق غير متيسرة للعرب تلك الطرق المستندة بوجه عام الى مركز الوكالة اليهودية فى مدينتى القدس ولندن . وقد قوى هذا الاعتقاد كثيرا بعد نشر كتاب المستر ماكدونالد الموجه للدكتور وايزمن فى سنة ١٩٣١ . وسيترك أمر تمثيل المصالح اليهودية فى فلسطين بصورة مضمونة الى المنظمات المحلية التى

يديرها رجال قديرون الى المندوب السامى وحكومته . وليس هنالك امكان بامتزاج العرب واليهود ما دام اليهود يتمتعون بمركز متميز لدى حكومة فلسطين .

ومع انه فى الامكان عد فلسطين وطنا روحيا لكل يهودى متدين لا يوجد ما يستند اليه فى القول ان فلسطين هى مكان يلجأ اليه اليهود المضطهدين . ولا يمكن وضع حد للاضطهاد فى اوربا الا عن طريق الحيلولة دونه . وان عسر ذلك فان ملاجىء المضطهدين يجب أن تكون فى بلدان كبريطانيه العظمى والولايات المتحدة وروسيا وغيرها من البلدان التى تعطف على هؤلاء البائسين وتدرك كرامة البشر . وليس من الانصاف لا بل من الرياء قيام بلد ما باظهار العطف على هؤلاء المضطهدين فى الوقت الذى يمنع فيه دخولهم اليه والالحاح على قبولهم فى فلسطين وهى البلاد التى لا ترحب بهم . ولو فتحت أبواب الهجرة الى بريطانية العظمى والولايات المتحدة وروسية وفرنسة لانحلت قضية اليهود المضطهدين فورا .

« أن أفضل خدمة يتسنى للذين يريدون الخير للوطن القومى اسداءها هى اولا الاعتراف بصراحة بأن الوضع فى فلسطين قد أصبح معقدا جد التعقيد وثانيا العمل على وجدان حل لذلك » . ان السبيل الى وجدان هذا الحل قد أشار اليه الكتاب الابيض الصادر فى سنة ١٩٣٩ .

BERLIN UNIVERSITY LIBRARY

956.9:H68fA:c.1
هوكنغ ،وليم ارنست
فلسطين، رمز جهاد العرب
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01059794

American University of Beirut

956.9
H68fA

General Library

956.9
H68fA
c.1